اجتهادات
بين الرئيس وسلفه ؟!

أحسنت السلطاتُ المختصة فى الصين حين أسرعت إلى تفسير سبب إخراج الرئيس السابق هو جينتاو من قاعة الشعب الكبرى خلال الجلسة الأخيرة لمؤتمر الحزب الشيوعى العشرين السبت الماضى. ليس معتادًا فى الصين الكشف عما يحدثُ فى كواليس الحزب وقيادته. ولكن خلال الساعات بين إخراج جينتاو من القاعة، وتوضيح وكالة أنباء الصين الجديدة سببه، كان فيديو هذه الواقعة قد انتشر على نطاقٍ واسع وأثار تكهناتٍ عدة. فقد بدا المشهدُ ملتبسًا وحمالًا أوجه. فقد يُرى فيه أن الرجلين اللذين صعدا إلى المنصة لاصطحاب الرئيس السابق أرغماه على الخروج معهما. وقد يُفهمُ منه أنهما نصحاه بذلك، فمضى معهما بعد تردد. وكان ما بدا أنه عدم ترحيب من جانبه بالخروج هو أكثر ما أثار التكهنات بشأن ما حدث، ودلالته السياسية فى لحظة تحولٍ تمرُ فيها الصين. وجاء التفسيرُ الرسمى بسرعةٍ غير معتادة، فأوضح أن جينتاو أُخرج لسببٍ يتعلقُ بحالته الصحية، لأنه أصر على حضور المؤتمر قبل أن يتعافى تمامًا.

وتعود أهمية الواقعة إلى أن فترتى رئاسة جينتاو بين 2003 و2013 كانتا من أكثر الفترات ازدهارًا فى مرحلة الإصلاحات الكبرى التى بدأها وقادها الزعيمُ الحكيم دينج زياو بينج فى آخر السبعينيات، فقد شهدتا تعميق تلك الإصلاحات، وتبنى سياسات أدت إلى مواصلة تطوير الاقتصاد, وفتح آفاق جديدة أمامه, فصار أقوى وأكثر تنوعًا وانفتاحًا, فحقَّقت الشركاتُ الخاصة الكبرى نقلاتٍ نوعيةً مكَّنت بعضها من منافسة نظيراتها الأمريكية والتفوق عليها أحيانًا. ولهذا بات جينتاو رمزًا للانفتاح والتسامح مع الأفكار الجديدة، وتشجيع الاتجاه نحو التحرر النسبى من البيروقراطية.

ومن الطبيعى, والحالُ هكذا, أن يثير ما حدث معه سؤالاً عما ينتظرُ الصين بعد حصول الرئيس الحالى شى جين بينج, الذى تبنى سياساتٍ بعضها مختلف, على فترة رئاسة ثالثة للمرة الأولى منذ 4 عقود. وكل ما يرجوه المعجبون بنجاح الصين, التى صارت المنافس الوحيد للولايات المتحدة على قمة النظام العالمى, ألاَّ يكون لغياب جينتاو لحظة حصول شى على فترةٍ ثالثة دلالةُ على طى صفحة كان الغائبُ من أبرز رموزها.